

رحيل خبير بيئي في المنطقة العربية الاتحاد الدولي لحماية الطبيعة وقادة الرأي البيئي في المنطقة العربية

بقلم: أ.د. عودة الجيوسي - المدير الإقليمي لمنطقة غرب آسيا في الاتحاد الدولي لحماية الطبيعة
(IUCN)

إن محطات الحياة ومواقف العلماء تجعلنا نشعر بقيمة اللحظات الغالية والمواقف التي نعيشها مع الناس اللذين يسعون لإحداث تغيير أكبر من حياتهم الخاصة المحدودة. لقد عرفت الاستاذ الدكتور كمال البتانوني ضمن سلسلة غنية ومعقدة من الاحداث والمواقف خلال عمله في اللجان الفنية في الهيئة العلمية لإدارة الأنظمة البيئية في الاتحاد الدولي لحماية الطبيعة (IUCN). وفيما يلي جملة من التدايعات والصور والمواقف التي تحضرنى عندما سمعت نبأ وفاته وأنا في السنغال / دكار حيث أكتب هذه الكلمات بمحاذاة المحيط الأطلسي في أقصى غرب أفريقيا.

كان أول لقاء مع الدكتور كمال في مكتبه في جامعة القاهرة عام 2006 حيث كان منهماكاً بالحديث عن كتبه وإنتاجه العلمي وطلابه وزملائه ودروه في توثيق النباتات الطبية في المنطقة العربية. دعانا لطعام الغداء في جامعة القاهرة وكان يرحب ويعرفنا بكل من يراه من أساتذة مخضرمين في كلية العلوم في جامعة القاهرة. حظيت بمشاهدته عبر برنامج تلفزيوني حول النباتات والاعجاز العلمي حيث طفق يتحدث عن الآية الكريمة "الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً" وربط معنى الآية في عملية التمثيل الضوئي وتوليد الطاقة. أدهشني بمعرفته الدقيقة لأصول النبات ومسمياته العلمية حيث شرع بشرح مستفيض لأنواع الأشجار في الحديقة النباتية في إيطاليا. أتذكر عندما حدثني الزميل يحيى خالد - رئيس الجمعية الملكية لحماية الطبيعة في الاردن وقال إن الدكتور كمال يمكن تسميته من قادة الرأي في الشأن البيئي لذا لا بد من السماع لرأيه والأخذ به.

أتذكر في اجتماع اللجنة الفنية الدولية لإدارة الأنظمة البيئية (CEM) عام 2006 للاتحاد الدولي لحماية الطبيعة حيث كان مصراً على دعوة الاستاذ الدكتور عدنان بدران لحضور محاضراته حول حماية الطبيعة والثقافة العربية والدين حيث شرح بحكم فقه التوازنات والضرر والضرار وفقه المصالح العامة والخاصة والحمى. وزرنا معه الصحراء الأردنية الشرقية الخلابة التي أدهشت زملاءنا القادمين من الغرب حيث ألهمهم لون الصحراء والشمس وكرم الناس.

وقد رافقته برحلة مع المديرية العامة للاتحاد الدولي لحماية الطبيعة، جوليا مارتين ليفيفر، من الإسكندرية إلى القاهرة حيث شرح لنا جغرافية المكان وملامح حماية البيئة في جمهورية مصر ثم زرنا مشروع حول النباتات الطبيعية حيث علمني تذوق وإحساس عقب النباتات الطبيعية.

وفي عام 2010 كنت في زيارة إلى الدوحة - قطر في الاجتماع الدولي للاتفاقية الدولية للاتجار بالانواع المهددة بالإنقراض (CITES)، حيث أعلمني زميلي الدكتور سيف الحجري بأن الدكتور كمال يتعالج في قطر حيث كان مستشاراً لمشروع حول "الحدائق القرآنية"، وعندما تحدثت معه كانت معنوياته في أعلى ما يمكن وكان مؤمناً بقضاء الله وقدره.

خلاصة القول، لقد ترك الدكتور كمال البتتوني إرثاً علمياً قيماً من النباتات الطبية إلى الحدائق القرآنية وفي وقت جعلنا جميعاً نفخر بتحول مصر ورؤيتها للشمس والحياة الكريمة التي مرت من ميدان التحرير.